﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾ [النساء: 143]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لما بينت الآيات السابقة أن المنافقين أمرهم عجيب؛ فمرة يدَّعون أنهم مع أهل الإيمان و في ولايتهم إن وجدوا لهم الغلبة والنصر على الكافرين، وينتمون إلى الكفرة إن وجدوا أنهم غلبوا المسلمين، وكان لهم نصيب من الغنائم، جاءت هذه الآية لتصف هذه الحالة للمنافقين فهم في اضطراب دائم، أيخرجون من الكفر إلى الإيمان، أم يبقون على ما هم عليه من هذا النفاق؛ فكان وصف القرآن دقيقًا لهم بقوله: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾: (ذَبَّ) أصلٌ يدلّ على الاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ[2]. الذَّبْذَبَةُ: نَوْسُ الشَّيْءِ الْمُعَلَّقِ فِي الْهَوَاءِ. ذَبْذبه: جعله يضطرب، وَالرَّجُلُ الْمُذَبْذَبُ: الْمُتَرَدِّدُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ[3]، وحقيقة المذبذب الذي يُذبُّ عن كلا الجانبين، أي يذاد ويُدفع فلا يقرّ في جانب واحد، إلّا أنّ الذّبذبة فيها تكرير ليس في الذّبّ، كأنّ المعنى: كلّما مال إلى جانب ذُبَّ عنه"[4]، ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾، أَيْ: مُتَرَدِّدِينَ مُتَحَيِّرِينَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يخبر الله تعالى أنّ هؤلاء المنافقين "متردّدون في حَيرة، فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا ولا مع الكافرين، بل ظاهرهم مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين، ومن يضلل الله فلن تجد له طريقًا لهدايته من الضلال"[6].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1919.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذبّ).
(3) الواحدي، البسيط: 7/161، والرّاغب، تفسير الراغب: 4/205.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/580، والصاوي، حاشية الصّاوي: 1/238.
(5) البَغَويّ، معالم التّنزيل: 1/715.
(6) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/101.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة كمال الاتِّصال في قوله: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾:

فصل لبيان مزيد من أحوال المنافقين وصفاتهم

جاء قوله تعالى مفصولًا عمّا سبق: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾؛ فلم تعطف؛ لأنّها في موقع الحال من فاعل ﴿يُرَآءُونَ﴾، فهي من تمام صفات المنافقين؛ فوصفوا بأنهم كسالى وبأنهم مراؤون ومذبذبون.

دلالة صيغة المفعول:

سلّط عليهم ما جعلهم يسقطون في الحيرة

المُذبذب بفتح الذال هو الذي يُذَبُّ عن كلا الجانبين، أي: يرد ويدفع فلا يقر في جانب واحد، والصيغة التي وردت هنا ﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾، إذِ المفعولُ " يَقْتَضِي فَاعِلًا قَدْ ذَبْذَبَهُمْ وَصَيَّرَهُمْ مُتَحَيِّرِينَ مُتَرَدِّدِينَ وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الذَّبْذَبَةُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ فَاعِلٍ، وَثَبَتَ أَنَّ فَاعِلَهَا لَيْسَ هُوَ العبدَ ثَبَتَ أَنَّ فَاعِلَهَا هُوَ اللهُ تَعَالَى، فَثَبَتَ أَنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ تَعَالَى"[1].

علم الله أنَّ في قلوبهم مرضًا، فزادهم الله مرضًا، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ [آل عمران: 108]

السّرّ في التّعبير عن النّفاق بقوله: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾:

آثر وصف المنافق بالتّردّد لبيان اضطرابه وأنّه فاقد للطمأنينة والاستقرار

هذا اللفظ من فرائد القرآن الكريم، ولم يُشْتَقَّ من مادته (ذ ب ب)، إلا لفظ (الذُّباب) في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج: 73] ولم يرد (مذبذبين) إلا في هذا الموضع من القرآن في حديثه عن المنافقين وطباعهم؛ فهم لا يحملون عقيدة، لا الإيمان ولا الكفر الذي هو من اعتقادهم الخاطئ؛ فهم يتردّدون بينهما لا اعتقادًا

(1) الرازي، التفسير الكبير: 11/250.

فيهما ولا اعتناقًا لهما، وإنّما يتخفَّون فيهما عن أعين النّاس؛ لأنّ قلوبهم مطبوع عليها عدم الإيمان فهي شاذّة في طبيعتها، وهذا التّفرد في اللّفظ مناسبٌ لهذا السّلوك الشّاذّ.

وما أقبح أن يتَّصف الإنسان بوصف لم يُسَمَّ به إلا الذُّبابُ، يسقط في الطعام " (هكذا عرّفوه) فقد لَحَظُوا فيه دِقّته وحِدَّة اندفاعه ولَدْغَه أحيانًا، والاشمئزازَ منه[1].

إيثار هذه المادة ﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾ دون متردّدين:

آثر الوصف بالذّبذبة لما فيه من الذمّ بدلالته على الاضطراب

آثر القرآن ﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾ دون مترددين؛ لأنّ الذّبذبة سلوك مذموم في كلّ أحواله، فطبيعة صاحبه التّطفل على الآخرين بحثًا عن مصالحه وحسب؛ فلا هو صريحٌ في كفره، ولا ملتزمٌ بدعواه، بخلاف التّردّد فهو سلوك ينبئ عن ضعف العزيمة، وقلّة الخبرة في اتّخاذ القرار، لكنّه لا يذمّ في كلّ أفعاله.

والتذبذب من صفات المنافقين الأصيلة، حالة قلبيَّة مَرَضيَّة، وما ينتج عنها من سلوكٍ شاذٍّ هو لازمٌ لهذا المرض، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾ [النور: 48 - 50]، وقوله: ﴿فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥﴾ [التوبة: 45].

وعلى كلٍّ فالتَّذبذب ليس من شيم المؤمن، فينبغي أن يكون المُسْلم ذا يقينٍ قلبيّ، وعقلٍ رشيدٍ، وعزْمٍ قويّ، وتوكُّلٍ على الحيِّ الذي لا يموت، فإن اعتراه تردُّد في أمرٍ فعليه بالمشورة والاستخارة.

الدّلالة الصوتية لهذه الصيغة:

ذبذب على وزن فعلل، مكوَّنٌ من مقطعين؛ فكأنّ كلّ مقطع

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذبب).

منهما يشير إلى طرف من الطّرفين؛ فكلّما مال إلى جانب ذبّ عنه، وفيه إشارة أخرى إلى ذمّ هذا السّلوك؛ لدلالته على عدم الاستقرار والاضطراب.

تكرار المقطع الصّوتيّ (ذَبْ ذَبْ) يدلّ على التّناوب، إلماحًا إلى سلوك المنافقين

فائدة التّعبير بالظّرف في قوله: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾:

عبّر تعالى عن توسّطهم بالذّبذبة في قوله جلّ شأنه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فالتّعبير بكلمة ﴿بَيْنَ﴾ "الدّالّ على المكان الذي يكون بين أمرين مؤدّاه أنّهم يكونون في مكان متوسّط بين الأمرين، وهذا التّوسّط معنويّ، من حيث إنّهم يدركون الحقّ ويعرفونه، ولكن لَا يدخلون في وسط أهله، ولا يعرفون الله تعالى حقّ معرفته"[1].

توسّطهم معنويّ، فهم في حالة متردّدة بين الإيمان والكفر

دلالة التعبير باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾:

المنافقون متردّدون بين الإيمان والكفر، "وذلك إشارةٌ إلى الإيمان والكفرِ المدلولِ عليهما بمعونة المقام"[2]، فأشار إلى المؤمنين والكافرين، أخذًا من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾، "وإذا جرى ذكر الفريقين فقد جرى ذكر الكفر والإيمان"[3].

أشار إلى الإيمان والكفر المفهومين من السّياق

السرُّ في توحيد اسم الإشارة، مع أنَّ المشار إليه أمران:

توحيد اسم الإشارة - مع أنَّ المشار إليه أمران - على تأويل: ما ذكر، وما تقدّم؛ للاختصار في الكلام، كما جعلوا "فَعل" نائبًا عن أفعال جمَّةٍ تُذكر قبله: تقول للرجل: نِعْمَ مَا فَعَلْتَ، وقد ذكر لك أفعالًا كثيرة وقصةً طويلة، كما تقول له: ما أحسن ذلك[4].

المشار إليه مؤول بـ (ما ذُكر) اختصارًا، ولفتَ انتباهِ المخاطب إلى حالهم

على أنَّ (ذا) موضوع لجنس ما يشار إليه، والذي موضوع لجنس

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1919 - 1920.
(2) أبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/246.
(3) الواحدي، البسيط: 7/162.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/149.

ما عُرف بصلة، فهو صالح للإطلاق على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وإنَّ ما يقع من أسماء الإشارة والموصولات للمثنَّى نحو: (ذان) وللجمع نحو (أولئك)، إنَّما هو اسم بمعنى المثنى والمجموع، لا أنَّه تثنية مفرد، وجمع مفرد، فذا يشار به للمثنَّى والمجموع، ولا عكس؛ فلذلك حسن استعمال المفرد منها للدلالة على المتعدد[1].

كما في قوله تعالى: ﴿بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: 68]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ [النساء: 150]، وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110].

تكرار اسم الإشارة في قوله: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾:

تكرّر اسم الإشارة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ "إشارة إلى الفريقين اللذين تقدّم ذكرهما، وهما: الكافرون والمؤمنون"[2]. "وَالْمُرَادُ بِأَحَدِ الْمُشَارِ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَبِالْآخَرِ الْكَافِرُونَ"[3]، والمراد بيان حقيقة تذبذبهم، "أي لَا مع المؤمنين ولا مع المنافقين بأنّ المراد لَا هم مع المؤمنين في الحقيقة ولا هم مع الكافرين في ظاهر الأمر"[4]، والقصد من ذلك التّذبذب في قوله جلّ شأنه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[5].

إشارة إلى ما تقدّم ذكره، وهما المؤمنون والكافرون، لبيان معنى التّذبذب

السّرّ في التّعبير عن المؤمنين والكافرين باسم الإشارة:

في قوله جلّ شأنه: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ كرّر اسم الإشارة للفريقين من غير تعيين المراد بالأوّل وبالثّاني، ولم يقل: (لا إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين)؛ لأنَّهُ أراد الاهتمام بنفي

عبّر عن الفريقين بالإشارة دون الوصف، اهتمامًا بنفي معيّتهم لأحد غير أهوائهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/512.
(2) الواحدي، البسيط: 7/163.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/111.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/65.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/241.

انتمائهم ومعيّتهم لأحد بغض النّظر عن حقيقته؛ إظهارًا لخبث أنفسهم وطويّتهم.

السّرّ في تكرار النّفي في قوله سبحانه ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾:

كـــرّر الـنّـفـي لـلـدّلالـةِ على إضاعةِ الأمرين، تـحـقـيرًا لـهـم، وتـنـفـيرًا من صحبتهم

تكرّر حرف النّفي للدّلالة على نفي انتساب المنافقين إلى المؤمنين وإلى الكافرين؛ لأنّهم "لَا يَعْتَقِدُونَ الْإِيمَانَ فَيُعَدُّوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَى إِظْهَارِ الْكُفْرِ فَيُعَدُّوا مَعَ الْكَافِرِينَ"[1]. "يعني ليسوا من المؤمنين حتّى يجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفّار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفّار"[2]، فدلَّ تكرار النّفي على بيان أنهم أضاعوا الأمرين لبيان اضطرابهم، و"الْمَعْنَى أَنَّهُمْ أَضَاعُوا الْإِيمَانَ وَالِانْتِمَاءَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَضَاعُوا الْكُفْرَ بِمُفَارَقَةِ نُصْرَةِ أَهْلِهِ، أَيْ كَانُوا بِحَالَةِ اضْطِرَابٍ وَهُوَ مَعْنَى التَّذَبْذُبِ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا تَحْقِيرُهُمْ وَتَنْفِيرُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ صُحْبَتِهِمْ لِيَنْبِذَهُمُ الْفَرِيقَانِ"[3].

واعلم أنَّ نفي وصفين بحرف "لا" قد يستعمل في إفادة إثبات وصف ثالث، هو وسط بين حالَي ذينك الوصفين، مثل ما في هذه الآية، ...وقد يستعمل في إرادة مجرَّد نفي ذينك الوصفين؛ لأنَّهما مما يطلب في الغرض الواردين فيه ولا يقصد إثبات وصفٍ آخرَ وسطٍ بينهما، وهو الغالب كقوله تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾ [الواقعة: 42 - 44][4].

بلاغة حذف متعلّق حرف الجرّ ﴿إِلَىٰ﴾:

حـذف متعلّق حـــرف الـجـرّ لـدلالـة المـقـام عليه، إيجازًا في اللفظ

جاء الحرف (إلى) في قوله جلّ شأنه: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بلا متعلّق، فحذف متعلّقه، وهو معنى الذّهاب، وهو المراد

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/111.
(2) الخازن، لباب التأويل: 1/440.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/241 - 542.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 1/532، 533.

بالنّفي وقد حُذِفَ "أَيْ لَا ذَاهِبِينَ إِلَى هَذَا الْفَرِيقِ وَلَا إِلَى الْفَرِيقِ الْآخَرِ"[1]، وإنّما حذفه إيجازٌ في العبارة، وهو لبّ البلاغة.

مناط الذمّ في نفي كونهم من الكافرين:

في قوله جلّ شأنه: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ نفى كونهم من الكافرين، وهذه صفة مدح، فكيف يذمّهم على كونهم غير كافرين؟ وجوابه "إِنَّ طَرِيقَةَ الْكُفَّارِ وَإِنْ كَانَتْ خَبِيثَةً إِلَّا أَنَّ طَرِيقَةَ النِّفَاقِ أَخْبَثُ مِنْهَا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى ذَمَّ الْكُفَّارَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي آيَتَيْنِ، وَذَمَّ الْمُنَافِقِينَ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ آيَةً، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ طَرِيقَةَ النِّفَاقِ أَخْبَثُ مِنْ طَرِيقَةِ الْكُفَّارِ، فَهُوَ تَعَالَى إِنَّمَا ذَمَّهُمْ لَا لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا الْكُفْرَ، بَلْ لِأَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَخْبَثُ مِنْهُ"[2].

النّفاق أشرّ من الكفر؛ لأنه كفر وزيادة من الخداع، وسوء الأخلاق، وخبث الطّويّة

دلالة التّعقيب على تذبذبهم بقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾:

جاءت الجملة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ عقب قوله جلّ شأنه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ لاتّصالها بما قبلها، وللدّلالة على أنّ فاعل هذه الصفة (الذّبذبة) هو الله تعالى.

اتّصال الكلام أنّ الذّبذبة متعلّقة بفعل الله تعالى؛ لأنّ المنافقين ليسوا أهلًا لهداية الله تعالى

دلالة التّعقيب بالشّرط ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾:

عبّر بالشّرط لبيان أنّ الهداية متعلّقة بالله تعالى، فمن شاء الله تعالى له الضّلال انتفت عنه سبل الهداية على وجه القطع، فجاء ذلك تفسيرًا لكونهم متذبذبين، فإنّ الهداية غير متحقّقة لهم؛ لأنهم تقلبوا في وجوه النفاق، وفَسادِ وجودهم الدينيّ؛ فلم يعودوا صالحين للعودة إلى الطبيعة البشرية السليمة.

عبّر بالشّرط للدّلالة على تعلّق انتفاء سبل الهداية بانتفاء أسبابها من الله تعالى

دلالة نسبة الإضلال إلى الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ أسند الله الضّلال إلى ذاتِهِ الجليلة؛ لبيان ضلال المنافقين، وذلك من " قبيل

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/241.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/250.

المجاز؛ من حيث إنّه تركه في غيّه، ولم يسدّ عليه طريق الشّرّ؛ لأنّه استمرأ الرّذيلة، وسار في طريق الضّلال إلى النّهاية، فكان ضلاله بعيدًا، واللّه تعالى يهدي من أراد لنفسه الخير، وسلك سبيل الرّشاد، فإنّ اللّه تعالى يوصله إلى طريق النّجاة"[1]، فاللّه تعالى علم انتفاء استعدادهم لقبول الهداية؛ فخلاهم وغيهم.

فقدوا الاستعداد للهداية فخلّاهم وغيّهم

دلالة النفي بـ (لن) في قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾:

دلّ الإتيان بـ (لن) في قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ في جواب الشّرط، و لن تفيدُ نفي المستقبل؛ فدلّ ذلك على أنّ من شاء اللّه له الضّلال فإن الهداية منتفية عنه على طول الزّمان إلّا أن يشاء اللّه تعالى.

عبّر بحرف النّفي الدّالّ على الاستقبال دلالة على استمرار انتفاء سبل الهداية

إيثار التّعبير بلفظ السبيل دون غيره:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ اختار ﴿سَبِيلًا﴾ دون غيره؛ لأنه عام يطلق على كل ما يتوصل به، فالذي كتب اللّه عليه الضلال؛ لعلمه الأزلي بأنه يستحق ذلك، لن يفتح له سبيلًا يوصله إلى الهداية.

آثر التّعبير بلفظ السّبيل لأنّه الطّريق الذي يتوصّل به إلى الهداية

ولأنَّ السبيل يدلُّ على الامتداد، وهو مناسب للمقام؛ حيث إنَّ هؤلاء الضالِّين في تِيه يعمهون، لن يصلوا إلى الهداية، ولو امتدَّ بهم المسير، ففيه ما فيه من التيئيس وخيبة الأمل.

فائدة التّنكير في لفظ السّبيل:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ عبّر عن سبل الهداية نكرة؛ والمراد تعميم النّفي، فيشمل كلّ سبل الهداية، وفي ذلك تأكيد لتحقّق الضّلال وانتفاء الهداية عنهم.

جاء لفظ السّبيل نكرة؛ ليشمل كلّ أنواع السّبل التي تحقّق الهداية للدّلالة على تأكيد الضّلال

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1920.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»